مصالحة الجنسين

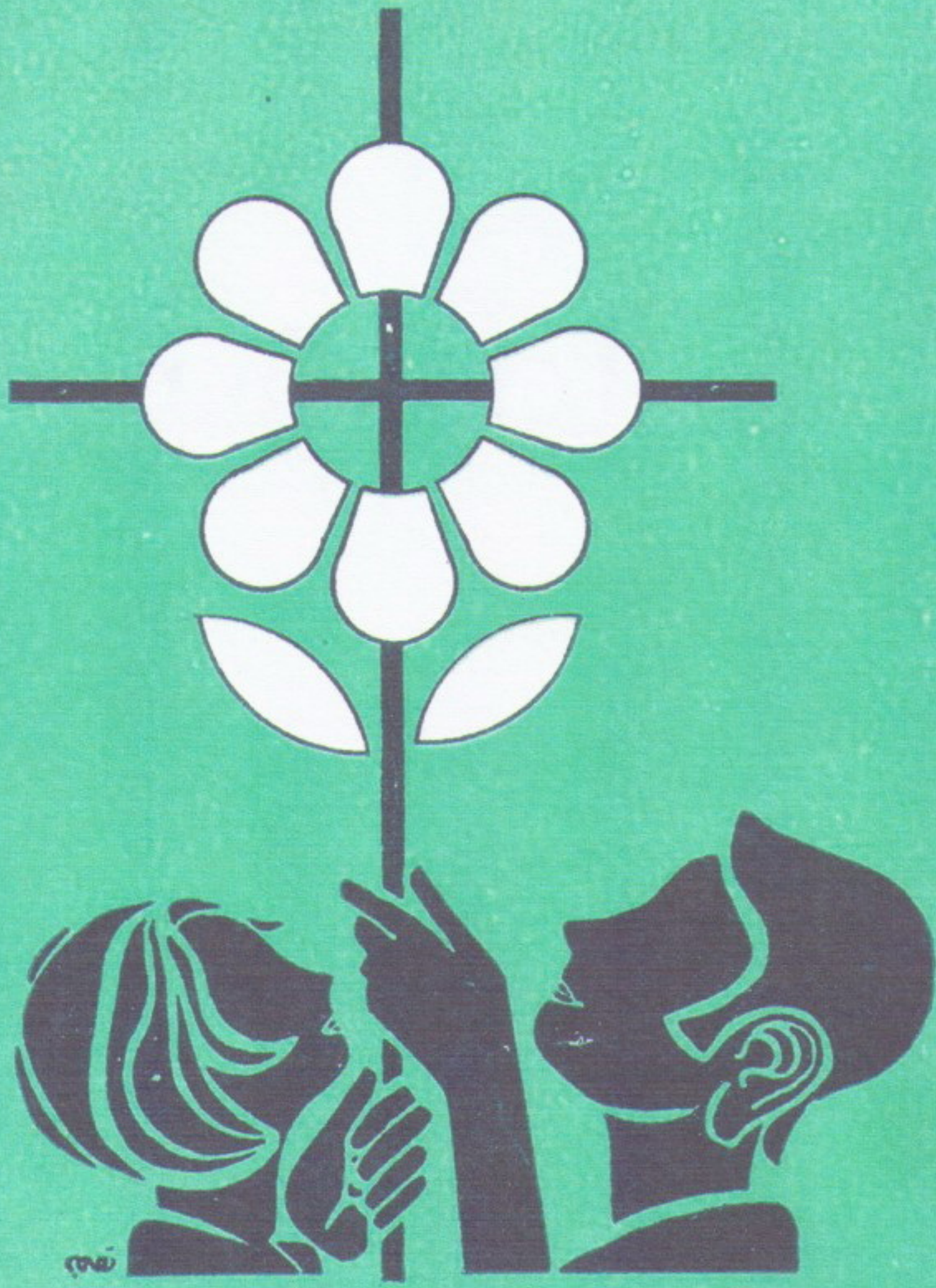

للقس صموئيل مشرقي

مجمع الله الخمسيني

مصالحة الجنسين

بقلم

القس صموئيل مشرقي

بكالوريوس لاهوت

صدر

بالقاهرة — جمهورية مصر العربية

مايو ١٩٧٤

تمهيـــد

إن القاعدة الصحيحة التى يقرها كل إنسان راشد بالنسبة لفحص الأمور واستجلاء حقيقتها تقوم على عدم قبول أو رفض أى تعليم إلا بعد فحصه فى نور كلمة الله والتثبت من اتفاقه التام مع الحق الكتابى الكامل الذى تعلنه باعتبارها المرشد الوحيد المعصوم .

وقد استخدمت هذه القاعدة عند الشروع فى رفع الحواجز نهائياً بين الجنسين فى فترة تشكيل الكنيسة المحلية بجزيرة بدران منذ خمسة عشر عاماً فقد وقف بعض الرجعيين حينئذ يقاومون هذا التحرر ويصفونه بألفاظ مبتذلة ويرفضون مناقشته بالعقل والموضوعية، مع أن أى رأى مهما بدا مخالفا لعين المتعصب إنما يقوم على أساس المناقشة والحوار ، وأى خروج عن هذه القاعدة هو الانحراف والهدم لكن الرجعيين يجزعون عند ذكر الحرية فإنهم لا يذكرونها إلا وينادون معها بقيود معينة ظنا منهم أن الحرية بدونها تعنى الفوضى وقد فاتهم أنها لن تكون حرية بالمعنى الصحيح إلا إذا كانت مطلقة لا يقيدها إلا العقل والحوار . وحقاً ما أجمل الحرية فى صميم الحياة الفكرية والروحية : إنها بركة الإنسانية كما ينبغى لها أن تكون، ومن ثم فإن مقاومتهم تلك قد خمدت سريعاً بعد صدور بحث سابق فى هذا الموضوع عنوانه : «مكانة المرأة فى المسيحية» . فقد كان لهصداه وآثاره المباركة فى نطاقه المحلى خلال العشر سنوات الأخيرة .

ودار الزمان دورته فأصبحت هذه الكنيسة المحلية مركزاً لعدة كنائس أخرى اتحدت معها وتألف من جميعها بمجمع عام باسم « بمجمع الله الخمسيني » .

وكان لابد لهذا المجمع أن يحترم قدسية الرأى الحر بعد تمحيصه والوصول فيه إلى ما يتفق مع حكم المنطق والعقل ، ويتأيد بأسلوب التفكير العلمى الذى يبسط أمام الإنسان سبيل النور والتقدم بغير تقيد بالعرف والتقاليد .

وليس فى هذا كله بالطبع مناقضة للروحانية ولا لكلمة الله :

لذلك أصدرت اللجنة التنفيذية لهذا المجمع بجلستها المنعقدة بأسيوط بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٩٧٣ قراراً برفع الحواجز التى تفصل بين الجنسين من كافة الكنائس المحلية التابعة للمجمع ، وكان إصدارها له فى حدود اختصاصها ومن الحقوق العامة التى خولها إياها دستور المجمع فى الإشراف على تشكيل الكنائس وفقاً لمبادىء الوحدة والشركة فيما بينها والصالح العام للمجمع بأسره باعتباره من الهيئات الدينية التقدمية . . وقد أقرها دستور المجمع فى ذلك فى المادة ٦٥ منه التى تنص على :

« أن يكون لكل كنيسة محلية مكان مخصص للعبادة تمارس فيه بحرية بدون حواجز مادية » .

ورغم أن هذا يعتبر فى حد ذاته منهيا لكل نزاع فى هذا الشأن ، فضلا عن قبول مبدأ المرونة المعقولة فى تنفيذ قرار رفع الحاجز على مراحل حتى أن بعض الكنائس المحلية بدأت بانزال الستارة إلى مستوى الجلوس ريثما تتم تهيئة المكان بحالة تناسب رفعها كلية تعزيزاً لمبدأ الإدماج التام الذى يجب أن يشمل جميع كنائس المجمع باعتبارها وحدات مندمجة فى كيان واحد ويجب عليها جميعاً أن تحمل طابعه إذ أن قرار اللجنة التنفيذية فى هذا الشأن قرار

عام وواجب التطبيق على الجميع ! بل أن هناك من الكنائس من قامت بتطبيقه فعلا فى نطاق المجمع من قبل صدور القرار ، وهى الكنائس التى تطورت فعلا فقررت رفع الحاجز وتم لها ذلك بعد التغلب على الآراء الرجعية التى كانت تقاوم هذا الرفع ، وقد فعلت ذلك وهى مقتنعه تماما بأن رفع الحاجز فى الكنيسة المسيحية لم يكن قط بوحى ظروف محلية ولا تقليداً للمجتمعات المتحضرة بل لقد كان نتيجة الاقتناع التام بأحكام الكتاب المقدس فى هذا الشأن ، وكان ذلك الرفع معمولا به فى الكنيسة الأولى التى نشأت فى الشرق وفى عصر لم يصل إلى ما وصل إليه عصرنا من تطور، فهو إذاً لم يكن نتيجة تقدم إجتماعى نابع عن تطور فكرى ، بل هو حقيقة كتابية سامية سادت على المجتمع المسيحى الأول منذ البداءة إثر صدورها من ينابيع الوحى الإلهى . .

ويذكر هريك جونسون فى كتابه « تحدى المسيحية » الدور الذى يمكن للمرأة أن تلعبه فى نشرها على أساس ما اكتسبته فيها من حقوق المساواة والكرامة التى مجدت الصفات التى تتميز بها فضلا عن تأثيرها على المجتمع وفيه فإنها بسيرتها الفاضلة تربح من حولها فإن لحياتها المسيحية تأثيراً فعالا يقوم مقام الكرازة ، وبالإجمال فان مقدسات الحياة قد أودعت بين يديها وجعلت لها عملا عظيما ، ذلك لأن الله قد جعل أمامها الباب مفتوحاً وفى طاقتها إمكانيات من التأثير غير مقيدة بما لا يجعل مكانا لاية حواجز مانعة لنشاطها وتقدمها .

الفصل الأول

الاعتراضات على الحاجز وتفنيدها

كان من المنتظر — كما حدث من قبل — أن تثار بعض الاعتراضات ضد هذا القرار نتيجة لمراعاة التفكير السائد فى بعض المجالات الذى يتحكم فيه البعض دون مراجعة لمواقفهم التى تخشى الخروج على المألوف مع أن القليل من هذا الخروج هو الذى يدفع المجتمعات دائما لاستكشاف آراء أجد وأفضل وتصرفات هى فى الغالب أكثر حكمة من التصرفات العامة السائدة ! ولكن أمثال هؤلاء السادة المحافظين لا يوجهون ذكاءهم إلى آفاق رحيبة رفيعة تحقق وجودهم وتخدم المجموع وتدفع إلى تقدم حضارى لا مناص منه وإنما يستخدمون هذا الذكاء لخضوع شبه كامل لناموس العرف للعام ليس إلا . . !

ولذلك فقد تطلب الأمر رفع الموضوع إلى لجنة تحكيم ملية ، لكن هذه اللجنة الموقرة رأت التخلى عن التحكيم فيه لكى لا تقف فى طريق « الزحف المقدس » الذى هو صمام الأمن فى تقدم الكنيسة المسيحيـــة واختبارها للحريات التامة المصونه بأرقى أنواع السلوك المهذب والأدب الرفيع وفقا لما احتوته نصوص الانجيل .

وواضح أن « ضمير الفرد » هنا الذى قد يقف موقف الاعتراض

من مثل هذه القرارات التحررية، لايجب أن يكون قانونا عاما يُفرَض على الجماعات ويعلو فوق قراراتها ، لأن هذا فى الواقع نوع من الاستعلاء الفردى ، وعلاجه « الضمير العام » ، ونحن لا نفترضه فى مجتمعنا فقط بل نفترض وجوده فى العالم كله ، وهو بالنسبة لنا « الخضوع العام» لكلمة الله وقبول رأى الروح القدس بالاجماع ، وهذا بالطبع يمنع النظام الطبقى الذى بموجبه يأخذ البعض سلطة يتعالون بها ويرتأون على حساب ضميرهم الشخصى ، ومن هنا وجب سيطرة « ضمير الجماعة » على « ضمير الفرد » — ولما كانت مبادىء الدستور الإلهى المستوحاة من كلمة الله نصا وروحاً تهدم كل أنواع التفرقة ويعتبر الإبقاء على حواجز تفصل بين الجنسين بإزائها تسلطا فرديا هو دكتاتورية مقنَّعة ، لذلك وجب الخضوع لأقوال الكتاب ومفهومها الواضح فى هذا الشأن ، والذى احترمته ومارسته كنائس انجيلية وتقليدية فكم بالأحرى يكون ذلك بالنسبة لكنائسنا الرسولية التى تعلن أنها بلغت من المستوى الروحى مالم يبلغه سواها !

وأما من جهة الادعاء بأن الكنيسة الأولى قد منعت كل تفرقة بين الجنسين ولم تضع أية حواجز بينهما بالنسبة لمستواها الروحى الرفيع فإنه مردود ، ليس فقط لأن نظام الكنيسة الأولى هو المقياس الإلهى للكنيسة فى كل عصورها وعليها أن تكون فيه تلقائيا ، بل ولأن ذلك المستوى بعينه لم يقصد الله تغييره ولم تهبط منه الكنيسة لأن الله تخلى عن مساندتها للاستمرار فيه ، بل لأنها استسلمت لأوهام وتعاليم

بشرية لم تتخلص منها منذ عصر الإصلاح إلا تدريجيا ، ولما كنا ننادى بأننا ورثة الكنيسة الأولى ونعمل جاهدين لبلوغ مستواها الرفيع والوجود فيه ، وقد بدأنا فى هذا الاتجاه فعلا وأعلنا أشواقنا فى استعادة امتلاك مواهبها وميراثها فيكون مما يتناقض مع ذلك كله رفض أى واحد منا التجاوب مع العمل الالهى للوصول إلى ذلك المستوى ووضعه بدلا من ذلك العوائق التى لاتضعفنا فقط بل وتمنعنا من بلوغ هذا المستوى الرفيع . ويكون من خطل الرأى حينئذ أن نجد بين صفوفنا من يدعى الروحانية العالية فى التكلم بألسنة والتنبؤ وباقى المواهب الروحية ، وفى نفس الوقت يقيم الموانع والسدود فى طريقها ، وتخجلنا بالنسبة لهذه الواقعة الكنائس التقليدية والانجيلية التى ندعى نحن بأننا أكثر روحانية منها مع أننا بإقامة الحواجز والتمسك بها نكون فى تخلف سحيق . . . !

وبناء عليه فالتعلل بالمستوى أمر غير جائز لأنه بمثابة التمسك بالمرض ورفض الدواء الذى يؤدى إلى الشفاء . . ومن ثم فإن القول بانتظار الوصول إلى العطية فى وقت ما فى المستقبل المجهول مع ما يراوده من أحلام مستحبة لأصحابه أمر سيصبح بالنسبة للواقع بعيداً عن التحقيق لانه يكفى بشأنه القول بأن الابتعاد عن روح المكتوب ونصوصه يصبح حائلا فى حد ذاته دون الوصول إلى العطية ، بل إن الحصول على انسكاب من الروح القدس شريطته أن يكون الجميع معا بنفس واحدة (أعمال ٢) .

أما القول بأن رفع الحاجز يرتبط بما يسميه البعض « بنهضة يوئيل »

التى ستحدث قبيل المجىء الثانى والتى فيها سيرتفع المقياس الروحى فيفرض هذه الأوضاع ويرفع كافة الحواجز تلقائيا ، فهو قول مردود كذلك لأن نهضة يوئيل وقد بدأت يوم الخمسين لم تكن هى سبب التأهيل بل لقد كانوا مؤهلين لها من قبل — ولذلك لم يكن هناك حاجز بين الجنسين فى العشية قبل حلول الروح القدس عليهم جميعا معا — فالادعاء إذاً بأن النهضة هى سبب التأهيل ورفع الحاجز إنما هو قلب للأوضاع إذ يجعل النتيجة سببا والسبب نتيجة ، فهو يزعم أن النهضة عندما تأتى ترفع الحواجز فى حين أن الحواجز يجب أن تكون مرفوعة حتى تأتى النهضة — وهيهات أن تأتى نهضة فى ربوع الرجعية التى تتمسك بالحواجز بأى شكل من الأشكال بل وتجعلها فى حكم التقاليد الواجبة ، رغم أن الكنائس التى لها تقاليد قد أطاحت بالحاجز وأزالته رغم تمسكها بتقاليدها الأخرى!

فكيف يكون موقفنا ونحن من جهة نعلن التمسك بحق الانجيل الكامل ونجاهر بالعودة إلى بساطة الكنيسة الأولى ونهضتها الجارفة ، ومن جهة أخرى نتمسك بهذه التحفظات ونجعل منها تقليدا واجبا للتقديس والاحترام ؟ !

ولن يجدينا نفعا هنا الادعاء بان رفع الحاجز إنما هو من الشكليات لأن وصايا المسيح التى طالبت بمراعاة الحق والعدل والايمان لم تنقض ما كانوا يفعلونه من جهة تقديم عشور الاشياء بل وجدناها تقول : «كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (مت ٢٣ : ٢٣) وفضلا

عن ذلك فليس فى نظام الله ماتختلف فيه النسب بل قد يكون كسر أقل الامور التى نراها تافهة أمرا مغيظا لله كأكبرها على السواء ...

أما ما ينسبه البعض من مرونة لأفكار الله فى هذا المجال أو غيره فإنه يعتبر فى الواقع من الأمور الخطيرة التى لا يتجرأ عقل أو إيمان على القول بها لأن نسبة التغيير لله فى أى ناحية من النواحى أمر لايتفق مع طبيعة الله بتاتا ، فإذا ماترك هذا الأمر أو غيره للأهواء الفردية بين الجماعات لاختلفت فيما بينها وتضاربت وفقدت الوحدة والانسجام، فضلا عن أن مثل هذا الوضع إذ هو مخالف للمكتوب لا يمكن ولا يُنتظر أن يعطى الروح القدس فيه إرشاداً مما قد يجىء متناقضا بين جماعة وأخرى ، حيث إن الروح القدس لا يمكن أن يعلن لفرد ما أو مجموعة معينة أيا كانت ما سبق أن أعلنه وقرره فى الكتاب وصار بذلك واضحاً وواجباً للطاعة والتنفيذ ، وإنما تكون إعلانات الروح القدس فيما لم يكن فيه إعلان صريح فى الكتاب أو ما يحتاج إلى تفسير أو توضيح منه وحينئذ يتنازل الروح القدس ليعطى للجماعة فى الموضوع المطروح رأيا يقود فيه لا إلى أغلبية وأقلية — كما يحدث فى الأمور البشرية العامة — بل إلى إجماع شامل تنطبق عليه القاعدة الكتابية التى تقول : « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن » (أع ١٥ : ٢٨) .

أما الزعم باحتمال حدوث تصدع فى الشركة والمحبة بسبب عدم اتفاق الرأى فمردود ، لأن المحبة وكذلك الشركة لا يجوز أن يسيرا بدون الحق الذى قد أكدت لنا كلمة الله بأننا لانستطيع شيئاً ضده

ونحن فى تمسكنا بهذه المبادىء الكتابية بعد دراسة وتمحيص وتحقق من صحتها لا نعنى بإعلانها ضياع المحبة أو الشركة بل أن نبنيهما على الأصول السليمة ، مما يضمن لهما البقـــاء دون تعويق وذلك لتحرير الجماعات التى فى نطاقنا المبارك والتى نرجو لها الانطلاق وفقاً لخطة الله .

وبإزاء ذلك لا يجوز تعلية الاقتناع الشخصى والضمير فوق الحقائق الكتابية لأن هذا فى الواقع نوع من أنواع الخداع النفسى إذ لا يمكن اعتبار ضمير الفرد مهما بلغ شأنه المقياس الأخير فى الحكم وهذا ما أكده الرسول بقوله : « ومع أنى لست أشعر بشىء فى ذاتى ، إلا أنى لست مع ذلك مبرراً لأن الذى يحكم فىّ هو الرب » (١ كو ٤ : ٤)

أما الادعاء بعد كل هذا بالتخوف من حدوث العثرات عند رفع الحاجز لأن هناك إمكانية للضعف الروحى وحينئذ لا تكون الحرية التى ترفع الحواجز لائقة فهو ادعاء مردود لأن تنفيذ ما هو حق أمر واجب فى هذا المجال وغيره على السواء ، ومن يتعثر بسبب ممارسة الحق فإنه يحمل وزره شخصياً إذ ينبغى أن يطـاع الله أكثر من الناس ، وما أكثر من يصفهم الكتاب بأنهم « يعثرون غير طائعين للكلمة » (١ بط ٢ : ٨) وفضلا عن ذلك فكيف يكون القول بالعثرة مقبولا فى أماكن العبادة التى تساعد على غرس الأسس السليمة للتمييز بين الخطأ والصواب عن طريق غرس الإيمان بالله فى الاعتقاد بناموسه الخلقى كمصدر لتلك الأسس ...!؟

إن النظرة إلى المرأة من خلال الجنس — وفقاً للمدعين بالعثرة — إنما هى نظرة بدائية ، إنها نظرة رجل الغابة . لأن الله الذى أودع فى الجنس جاذبية وضع بجانبها عقلا لضبطه والغرائز ما هى إلا طاقات وقوى ينبغى أن تخضع للعقل وإلا فالرغائب كالنار تأكل نفسها بنفسها وسرعان ما تتحول إلى رماد خامد ، وفضلا عن ذلك فإن هناك غاية أبعد من اللذة فليست المرأة ملهاة الرجل أو أداة متعته ، إنها صنو روحه وتوأم وجوده ، إنها أمه وزوجته وأخته وابنته وفى كل هذه الاحوال لها كرامتها واحترامها وحصانتها وقدسيتها ، وهذا يلزم بالضرورة النظر إلى الجنس الآخر نظرة نظيفة طاهرة ، وإنها لجريمة أن يُنظر للمرأة كرمى للغريزة ووكر للشهوة لأن ذلك معناه أن الرجل حيوان وأن الحياة أكذوبة كبرى وأن كل القديسين والأنبياء والأبطال والشهداء والعظماء والعباقرة كلهم بلا استثناء ثمرة شهوة غير عاقلة ونزوة حيوانية .

وهذا كله لا نجد له أثراً فى المسيحية بالطبع لأنها حرمت كل انحراف جنسى ومنعت الدعارة المقدسة التى كانت تبيحها الأديان القديمة — وربطت بذلك بين الجنس وكرامة المجتمع البشرى الأمر الذى ردت به للمرأة حقها المهضوم فلم يعد من حق أحد أن يهين كرامتها أو يهدر مركزها أو ينتقص من إنسانيتها — بل لقد قدست الأمومة بولادة المسيح من إمرأة فقد قدس بذلك كل مظاهر الحياة الأنثوية وأنهى النجاسة الطقسية ، ورفع من شأن المرأة وسمح لها أن تشترك فى خدمته وتتبعه وتلتصق به ، فلمعت أسماء منهن فى لوحة الشرف والخلود .

وهكذا قدّر المسيح الأنوثة بصورة لم يسبق لها مثيل وأحاطها بهالات التمجيد والتقديس فأين العثرة إذاً بعد هذا كله ؟!

ورغبة فى تغطية كل جوانب هذا الموضوع لما له من أهمية قصوى فقد قمت معتمداً على معونة روح الله بإعداد هذا البحث لشرح وجهة النظر الكتابية فى موضـــوع الحاجز تأييداً لما أقرته لجنة المجمع التنفيذية ووافقت عليه بالأغلبية وهو ضرورة رفع الحواجز من كافة كنائس المجمع لأنها ضد الحق الكتابى ، وتخالف مبدأ الانجيل الذى يعلن « مصالحة الجنسين » فى الصليب ، مما يجعل بقاء الحواجز وخاصة فى كنائس الروح أمراً غير مشروع على الاطلاق ، مهما يكن ما يراه البعض من أفضلية فى الفصل بين الجنسين عن طريق وضع حاجز ما أيا كان نوعه تجنبا لما قد يتصورون حدوثه من آثار ، فقد ثبت العكس ، أى أفضلية الوجود فى حالة مشتركة لإعطاء فرصة للتربية الروحية لتقوم بدورها وتثبت إيجابية فعلها بين الجنسين فى إنشاء وتدعيم العلاقات السامية البعيدة عن الشبهات والأقاويل التى تنشأ عن التقاليد المتزمتة لدى الذين يحرصون عليها من غير التقديين ...!!

الفصل الثاني

ضرورة رفع الحاجز وأسبابها

نفتتح هذا الفصل بما يذكره د. نعيم عطية فى كتابه « القانون والقيم الاجتماعية » ص ١١٢ من جهة المبادىء القانونية التى تحكم هذه القيم وهى: —

١ — إعلاء المعنويات على الماديات.

٢ — أن تكون الشخصية الإنسانية غاية المجتمع الذى يجب أن يصل بالفرد إلى تحقيق كماله المنشود وهو الخير ذاته.

٣ — يجب أن يتجرد التفسير المقبول من شوائب الأنانية، فلا يعتد بالإيثارات الفردية.

وهذه المبادىء تحقق القواعد العامة الآتية: —

١ — الاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية ووضعها فى مكان أسمى من القيم المادية.

٢ — عدم إقامة نظام يسلب حقوق الأفراد وينكر عليهم حريتهم.

٣ — البعد عن إطلاق الحرية الفردية دون ضابط أو التزام بمسئوليات وقيم عامة.

واستناداً إلى هذه المبادىء والقواعد نتقدم إلى بحث الأسباب التى نستند إليها فى ضرورة رفع الحاجز بين الجنسين فى الكنيسة وهى :

أولا : لأن الحاجز لا صلة له بالمسيحية ولا يوجد نص كتابى يصرح به وانما هو قائم على العرف والتقليد :

يقول القس صموئيل حبيب فى كتابه « **أسرار السعادة** » ص ٧٨ « إن العرف والتقليد قد اتخذهما الكثيرون جزءا من صميم الانجيل بينما هناك الكثير من التقاليد لاصلة لها بالمسيحية وإنما تعود إلى الوثنية أو غيرها من الأديان الأخرى . . .

فهناك كنائس قد أخفت السيدات وراء جدران أو فى الأركان أو فصلت بينهن وبين الرجال بحواجز من خشب أو من قماش أو طوب .

هذه عادات لا ترجع إلى أصل مسيحى قط . لهذا يلزم أن تحلل التقاليد والعرف فى ضوء كلمة الله وروح المسيح لنعرف مبادئه ونأخذها نبراسا لنا ولضمائرنا . »

ويؤكد نفس الكاتب هذه الحقيقة بعينها ويزيدها إيضاحا فى كتاب آخر له بعنوان : « **الكنيسة فى مجتمع متطور** » ص ٧٦ بقوله : « كثيرون قد أضافوا أفكاراً للكتاب المقدس وضعها الناس موضع الوحى والتزموا بها وأصروا على عدم مناقضتها : وقد دخل التراث التاريخى فى الدين لدرجة أن بعض التقاليد — مسيحية كانت أو غير مسيحية — قد دخلت الكنيسة وأصبحت فى نظر البعض مقدسات لا يجوز مسّها

مع أن منها ما يتصل بأيام الفراعنة ... وبناء **حاجز** يفصل بين السيدات والرجال فى الكنيسة يرجع فعلا إلى القرن السابع الميلادى بعد دخول الإسلام ، ورغم أن الإسلام قد سارع اليوم فى التقدم والتطوير إذ بالكنيسة لا زالت تتردد ؟! » وهو يقدم للكنيسة — التى كانت أول من نادى بتعليم المرأة ص ٧٩ وبالمساواة بينها وبين الرجل وأنه لا فرق ص ٩١ وبمحاربة التفرقة بأنواعها ص ٩٢ — السؤال الآتى « فهل تظل الكنيسة بعد كل هذا متمسكة بتقاليدها بإزاء مجتمع متطور أم تحاول أن تساير هذا التطور أى تدفع هذا التغير وتمسك بزمامه ؟ » ص ١٦٦ .

وها هو الدكتور عزت زكى فى كتابه : « **الآداب الجنسية فى مختلف الأديان** » ص ٤٠ يقول : « إن المرأة لم يكن مسموحا لها أن تتعدى رواق الحريم فى الهيكل وفى المجامع إذ لا ينبغى أن يختلط الرجال بالنساء ، بل **لتحجز النساء خلف ستار** ونوافذ المنازل ينبغى أن تغطى **بالحواجز الخشبية** التى تسمح بالرؤية من الداخل ولا تسمح بالرؤية من الخارج . ونحن نقرأ فى سفر النشيد ٢ : ٩ وفى القضاة ٥ : ٢٨ عن النساء اللاتى يتطلعن من وراء الكوى من خلف الجدران .. فاذا خرجت المرأة للطريق ينبغى أن تسدل النقاب على وجهها ، والمرأة المكشوفة الوجه هى امرأة ساقطة منحلة . »

ثم يعود فيتساءل فى ص ١٤٠ عن موقف الكنائس المتزمتة التى تلزم النساء بالصمت وتضع بينهن وبين الرجال **الحواجز المادية والادبية** من جهة جوقات الترنيم وهى غالباً من جنس النساء ويقدن جمهور العابدين ،

هل كان يمكن للمجتمع المسيحى أن ينال البركات العظيمة التى نالها من مرنمات خالدات أمثال « شارلوت اليوت » و « فرانسس هافريجال » وغيرهن ؟ ...»

لا شك أن الأفراد المتزمتين الذين يأخذون الدين على أنه مجموعة صارمة من الأوامر والنواهى فى حاجة لأن يتذكروا أن هذه هى الروح الفريسية الضيقة التى داست كل اعتبار للمرأة بالتقاليد التى اصطنعتها وابتعدت بها عن الشريعة الالهية حتى أنهم وضعوا المرأة على قدم المساواة مع الثور والحمار والممتلكات الجامدة ولم يجيزوا لها أن تأكل مع الرجل بل تقف طيلة الوقت تخدمه وتجلب له الصحاف وكانوا ينظرون بعين الريبة لكل معاملة عادية مع النساء . حتى ولو كان مجرد حديث عادى . وقد وصل بهم الحال أن قرروا المنع البات لكل حديث بين رجل وامرأة فى الطريق حتى ولو كانت هذه المرأة زوجته وكان اليهودى يعتبر مثل هذا الحديث عاراً فى أى مكان عام بل لقد كان هناك بعض الفريسيين الدميين الذين كانوا يفضلون أن تدمى جبهتهم بالاصطدام فى السير من أن تنظر عيونهم إلى امرأة ما ، ولذلك كان اليهودى يصلى قائلا : « أحمدك يا إلهى لأنك لم تخلقنى أمميا ، ولا عبدا ، ولا امرأة » (الصفحات ٢٤ ، ٣٩ ، ٤١ من كتاب الآداب الجنسية) .

ولأجل ذلك كان التلاميذ يتعجبون لما رأوا المسيح يتكلم مع امرأة ، مع أن أحداً منهم لم يسأله لماذا تتكلم معها (يو ٤ : ٢٧)

وهو قد نقض بذلك تلك التقاليد البالية وابتدأ يتعامل مع المرأة كإنسانة تحتاج إلى التحرير على يديه كالرجل تماما ! ! وقدعا نفسه «ابن الإنسان» مع أنه ابن مريم — جاء منها بدون رجل — مؤكدا بذلك بأن كلمة « إنسان » تشمل الرجل والمرأة على السواء كما حمل فى جسده الطاهر خلاصة النوع الإنسانى كله أى صفات الرجل وصفات المرأة على السواء (كالقوة والجرأة والحنان والعطف) وأصبح ممثل الرجل والمرأة كليهما معا وبذلك رفع مقام المرأة فيه فتساوت بالرجل . . وجاءت تصريحات الوحى فى ضوء ذلك لتعلن : « أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب » (١ كو ١١ : ١١) ، وأنه « ليس ذكر وأنثى فى المسيح » (غل ٣ : ٢٨) وذلك تمهيدا لإنهاء الفوارق الجنسية فى القيامة عندما تبلغ الحياة الحاضرة دورتها المرسومة لها من الله !

وفى ضوء هذا كله يقول **الاب متى المسكين** : « إن الكل الآن ينادى بضرورة وحتمية حقوق الإنسان لكل إنسان ، وحرية الرأى والتعبير والعبادة ورفع الفوارق بين الطبقات ، وإن كانت هذه الخصائص التى ننادى بها الآن تبدو كأنها مجرد حقوق أو أصالة إنسانية أو تقدم حضارى أو افتخار بشرى إلا أنها فى حقيقتها تظل تعبر تعبيرا خفيا عن امتداد روح الإنسان الجديد نحو الله والتهيؤ المناسب للتلاقى معه فى المسيح ! » ثم يستطرد إلى القول : « إن المسيحية لن تستحق اسمها إذا لم تنفتح بالروح على البشرية الجديدة حيث ترفع كافة الحواجز التى صاغتها يد العداوة والتعالى والتحزب والتعصب الأعمى . . . »

ثانيا : لان الحاجز انما هو من آثار السقوط وقد أبطله الفداء :

لما خلق الله الإنسان — الرجل والمرأة — أسّس بينهما علاقة شخصية حرة تعكس بينهما المحبة والوحدة والثقة وقد كونت منهما أول مجتمع بشرى ، كانا فيه يتعاملان بحرية ، وكانا كلاهما عريانين وهما لا يخجلان ، (تك ٢ : ٢٥) ولكن بمجرد أن حدث السقوط فقدا هذه الحرية وبدآ كلاهما يختفى الواحد من الآخر كما اختفيا معا من حضرة الله وأخذ كل منهما يعاير الآخر ويلقى اللوم عليه .

بدأ الخجل يدخل حياتهما ويدفعهما للاختباء خلف أشجار الجنة وفقدا بذلك فرح العلاقة المتبادلة ، وهذا يؤكد أن الاحتجاز والتوارى نتيجة الإحساس بالخجل بسبب السقوط فى الخطية والشعور بالذنب إنما هو من نتائج السقوط . . وجاء الحكم الإلهى على الرجل والمرأة بسبب السقوط فأصبحت به المرأة تحكمها الرغبة والرجل السيطرة : هى تريد أن تجذب وهو يريد أن يحكم . وظهر فى المرأة لذلك « **مُركّب النقص** » وفى الرجل « **مُركّب الزيادة** » وأصبح ذلك فيهما بطبيعتهما: الأول منهما يصيب المرأة بالخجل والخوف والتردد بينما الثانى يدفع الرجل إلى الاستعلاء والجمود والعناد !

ويقول القس صموئيل حبيب فى كتابه « **أسرار السعادة** » ص١٢٨: « إن الخجل من الصفات التى أسىء فهمها وامتدحت دون حق حتى اعتُبرت مساوية للعفة ، فى حين أنه يحد من حيوية الفرد ويقلل من نشاطه ويعيق من إحساسه بالسعادة وكثيرا ما يقود إلى **الهزيمة** أو إلى **العناد** . »

ويعالج الأب متى المسكين الموقف فى مقال له عن « ميلاد المسيح » وميلاد الإنسان » المنشور بجريدة وطنى فى ١٩٧٤/١/٦ بقوله : « لم يعد تراب الأرض أو الجنس أو اللون أو العنصر الذى ينحدر منه الإنسان سبب فخر أو علة عار فيما بعد ! فالإنسان ، كل إنسان ، قد تجنس بالمسيح ، وبالتالى بالله فى المسيح !! ولم تعد المرأة من دون الرجل ولا العبد من دون الحر ولا الفقير من دون الغنى ولا الجاهل من دون الحكيم ، لا كأنها حقوق إنسان تؤخذ بالمنطق أو تؤخذ غلابا . . بل هى عطية الله للانسان بميلاد المسيح ، إذ رفع البشرية فيه إلى درجة بنوته ، فصار الكل أبناء الله يُدعون ! ! والبنون متساوون فى كل شىء » .

وهكذا لم يعد للتفرقة الناجمة عن السقوط مكان من بعد الفداء الذى حرر البشرية جمعاء وبالتالى فقد تحررت المرأة به وتساوت بالرجل إلى الأبد ! !

* * *

واضح إذاً أن الخجل ناتج من الشعور بالخطية والذنب ولكن ليس علاجه الكبت والحجز بل التبرير بالفداء كما سلف البيان فقد توجد نساء محتشمات بسبب التقاليد والضغوط العائلية فحسب ولكن حشمة مثل هذه ليست تعبيراً عن العفة المقدسة التى يتمتع بها المقدسون فى المسيح .. إذ أن العفة هى عفة الروح والقلب وحفظ نقاوة الداخل ، وهى لن تكون حقيقية إذا جعلناها تقوم على التحفظات والحواجز المادية إذ أن

مصدر الخطية ليس فى الجسد بل فى الروح فلا عبرة بالذين يعتبرون الجسد عائقاً وشريرا ومعطلا للحياة الروحيةودخيلا على طبيعة الإنسان لأن هـذا زعم يحاول به البعض أن يجعلوا أنفسهم ملائكة قدر المستطاع ويتناسون أنهم بشر ، وهيهات أن ينفعهم ذلك ؛ لأن الجسد هو الواسطة التى يتحقق بها حضور نفس لنفس أخرى . وفى ذلك يقول أغسطينوس : « من لم يكن روحانيا حتى فى جسده يصير جسدانيا حتى فى روحه » (**المسيحية والجسد** ص ١٥ للأستاذ كمال حبيب) وإذاً ليس الجسد شريرا فى حد ذاته — لأن هذا هو الزعم الغنوسى — ولا أعضاؤه قبيحة بل تلك المختبئة فينا إنما نُخبَّأ لكرامتها وقيمتها الغالية .. يقول أكليمنضس الاسكندرى هنا : « لا يجب أن نخزى من الأعضاء التى لم يخز الله من خلقتها ».

وإذاً فليس فى المسيحية التى ندين بها تلك الثنائية بين الجسد والروح التى نادت بها العقيده الافلاطونية حين ادعت أن العالم المادى ليس من أعمال الله وأن كل ما هو مادى إنما هو حقير ، ونظرت إلى الإنسان على أنه روح محبوسة فى جسم مادى تتطلع إلى التحرر منه وأن الجسد مقبرة الروح ، وكأن الروح والجسد عنصران متنافران ومختلفان ، وإنما تعلن المسيحية ثنائية أخلاقية فى الإرادة فقط فما ندعوه بأعمال الجسد هى الأعمال السلبية التى تنتقص من وجود الإنسان !

لقد قدست المسيحية الجنس ثم قدست الزواج والأمومة وأعلنت أن أصل النجاسة فى الكيان الأدبى لا الجسمى — وأن الله لم يخلق

شيئا نجسا بذاته بل خلق كل شيء حسنا ، وذلك لأن الخالق طاهر وكل ما يخلقه لابد أن يكون طاهراً ..

وقد جاء المسيح بالفداء فضرب به كل الحواجز التى كانت متينة وثابتة والتى سببتها الخطية ، حين شق الحجاب من فوق إلى أسفل ونقض حائط السياج المتوسط قاتلا العداوة — التى كانت بين البشر والله وبين الجنسين — بالصليب (أف ٢ : ١٤) معلنا بذلك انتهاء الفوارق القومية والجنسية والطبقية سواء ما كان منها بين اليهود والأمم أو بين الرجال والنساء أو الأحرار والعبيد مبينا بذلك أنه ليس لأحد امتياز على الآخر إذ لا فرق الآن (رو ٣ : ٢٢) وهذا قد جعل من رفع الحاجز أمراً واجبا كمبدأ كتابى لتأكيد وضمان الحريات الروحية النابعة من الفداء ، ولذلك فانه يعتبر من الحقائق الأساسية الواجبة الاحترام والتى وصلت إلى إعلان صريح قد أورده العهد الجديد : « بأنه ليس ذكر وأنثى بل هما واحد فى المسيح يسوع » يعمل فيهما روح الله الواحد بحرية تامة غير مقيدة ... !

وأما الادعاء بأنه قد ينتج من وراء ذلك أخطار أو أضرار فيعتبر غير ذات موضوع هنا لأنه ليس هناك تصريح قط باستخدام مثل هذه المزاعم كوسيلة لإبطال مبادىء قائمة واجبة النفاذ حيث أن الحياة كلها وخاصة فى المجتمع المعاصر مليئة بالمشاكل بوجه عام ، ومن ثم فلا عبرة بوجودها فى هذا المجال الخاص بل هى مدعاة لزيادة الخبرة وتعميق الفهم وتوسيع النطاق الروحى وتحويل المشاكل نفسها إلى بركة بادخالها

فى صميم الحياة الروحية حتى لا تبقى رهيفة بل تتحول إلى حياة قوية جبارة مقتدرة ...

ولا عبرة هنا بما يقال عن وجود حوادث فردية شاذة فهى ليست حجة يُستند عليها فى هذا المجال وإنما هى على مسئولية أصحابها دون سواهم ، ما دام المجال الروحى يسير وفقا لقواعد الكتاب ونظامه وتحت ضبطه وهذا ما نريده لكياننا باستمرار أى أن يكون تشكيله كتابيا وروحيا معا ...

ومن المتفق عليه أن وجود المتاعب والمشاكل فى طريق تنفيذ الحق الكتابى إنما هو امتحان من الله لإثبات صحة النوايا من جهة الرغبة فى هذا التنفيذ ، كما أن هذه المشاكل أيا كان نوعها وهى موجودة فى كافة أوجه نواحى الحياة إنما هى السبيل الذى عينه الله لتوسيع الفهم والإدراك والوصول إلى حياة أفضل ...

ولذلك فاننا مع تسليمنا بإمكانية وجود بعض العلاقات السيئة ـ ولكن ليس معنى هذا أن الكل شرير وأن المقصود برفع **الحاجز** مجرد اختلاط الجنسين ـ إلا أن غير الناضج فقط هو الذى يرى «الجنس» فى كل علاقة وهذا دليل على أنه ناقص التفكير ؛ قصير النظر ، أما الناضج فهو من يقبل « جنسه » كما هو وفى نفس الوقت يرى فى علاقاته بالجنس الآخر ما هو اسمى من « الجنس » ، أما الشخص المتزمت فتراه يريد **الحاجز** كعنوان للتعامل الحذر مع الجنس الآخر ولذلك تجده يرى معنى شريرا فى كل ابتسامة ، ويعلق رأيا قبيحا على كل مجاملة وكأن الفداء

معدوم الأثر فى حياة الذين تقدسوا به وارتفعوا إلى أسمى الآفاق الإنسانية !

ويذكر « كوستى بندلى » فى كتابه « **الجنس فى معناه الانسانى** » : « بأن الذى ينظر إلى جسد الآخر فحسب ليس سوى ماجن ، وأما الذى لا يرى فى جسد الآخر سوى الخطر الواجب التجنب فهو المتزمت وكلا الموقفين مظهر لتلك المحاولة التى عبر عنها الكتاب عند سرده لحادثة سقوط الجدّين الأولين ، محاولة تأليه الذات بمعزل عن الآخر »

وإننا نجده لذلك يصف الجنس بأنه نمط وجود وأسلوب تصرف لا مجرد جسد ... وهو يتحدث عن العفة فيقول : « ما أكثر ما تُشوِّهُ معنى العفة حتى أصبحت مرادفة للعجز والخوف ... يبين الكتاب أن الخوف من الجنس ، والتهرب من مواجهته ، وإخضاعه للاوامر والنواهى التى يفرضها المجتمع والدين هو تزييف للعفة ، فالعفيف هو من لا يخاف الجنس ويتعهده بوعى ومسئولية موجها إياه بحكمة ، العفيف حقا هو من يحرص على إعطاء الجنس كل أبعاده على أسس تربوية مبنية ليس على قمع وكبت بل على تهذيب وتوجيه . .

وهو يجيب على السؤال : « هل مفهوم العفة يعنى قمع الغرائز ؟ » بقوله : « أنا لا أومن بالقمع لأنه عملية سلبية ، وكل قمع بحد ذاته قريب من الكبت مجرد موقف سلبى من الغريزة . هذا لا يكفى لمقابلة جموح الغريزة ونزعتها لأن ذلك يستلزم توجيه الغريزة لتحقيق الهدف .

الطريقة الفضلى إذاً هى عدم الاكتفاء بمجرد محاربة الغرائز بل التأكيد على تهذيبها لتصبح منسجمة مع الأهداف التى وجدت من أجلها فالشخص العفيف إذا وقع نظره على امرأة لا يراها كمجرد جسد فيهرب منه وإنما ينظر إليها كشخص إنسانى .. إنسان مثله ، وعندما يتم الوصول إلى ذلك أى اعتبار المرأة إنسانا تكون العفة قد اكتملت »

وإذاً ليست العفة مجرد امتناع كما يُفهم من اللفظ العربى لأن « العفة » فيه مشتقة من « عفّ » عن الشىء أى امتنع عنه لكن هذا موقف سلبى واما إيجابيته فهى « ضبط النفس » وهذا هو معنى التعفف فى اللغة الانجليزية « Self Control » — إنها ليست كبتا ولا انطواء ولا تعاميا بل تعهدا واعيا ومواجهة سامية تصدر عن ذات ناضجة قد جعلت من الجنس الآخر موضوع الاحترام والمهابة .. ومن ثم فان وضع المرأة وراء حاجز أيًّا كانت مبرراته المزعومة إنما هو بمثابة اعتبار المرأة خطراً على الفضيلة أو على الرجولة كما أن إلصاق شتى التهم بها لمما يدفعها إلى مزيد من الإمعان فى مُركّب نقصها مما يظهر فى انقلاب وضعها ورغبتها فى رفض الأنوثة وهذا يفتح الباب إلى حالة عدم قبول الانسان لجنسه رجلا كان أو امرأة وهذا هو المرض العصرى الخطير .!

فضلا عما فى هذا الكبت من محاولة رهيبة للتهرب من مواجهة « مشكلة المواجهة » التى هى أهْون من الكبت نفسه بما لا يقاس ، ويكفى أنها طريق الإعلاء أو التسامى الذى هو مفتاح الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من رقى وتهذيب وتعاطف وصداقة وثقة ! هذا هو تقديس الجنس لا عن طريق اقامة الحواجز بل عن طريق هذه الوحدة المقدسة

فى الوجود المشترك مما لا يجعل العفة فريضة يدعمها الخوف من العقاب الإلهى ويغذيها احتقار الجسد واعتباره مصدر الخطية والدنس !

أما التعفف فى معنى « الضبط الواعى » فهو يختلف تماما عن الكبت ولا ينشئه بل ولا يدع له مجالا ، لأن العفيف قد تقدس فكراً ووجدانا ونزوعا وليس فيه أدنى انقسام فى الشخصية ، فالعفيف لا يحس بالفراغ ولا بالصراع — إنه لا يحتاج إلى حاجز يضغط عليه ويدفعه إلى الكبت الذى هو مجرد عملية سلبية فيه تهرُّب من الواقع أما الضبط فهو مرحلة لعملية إيجابية .. عملية انفتاح كامل إلى الواقع وتعهد واعٍ للجنسية وإخضاعها بفرح ورضا للمثل الأعلى ..

وإذا كان كبار الباحثين جميعهم سواء منهم الفلاسفة أو العلماء يؤكدون أن إرادة الإنسان أقوى بكثير من الغريزة الجنسية ، (ص ٥٥ من كتاب **المشكلة الجنسية وكيف نجابهها** ترجمة د . موريس تاوضروس) فهى تستطيع أن تجعله حراً يتلفت حوله دون أن يخشى إنساناً يمكن أن يلومه على أمر ما ، لأنه غير مقيد بأى شهوة أو كراهية أو خوف أو شعور بذنب ، فكيف يكون حال الذين قد تجددوا بنعمة المسيح وصاروا يرون الجمال الحقيقى لا فى الشكل الخارجى بل فى جمال الروح والأخلاق الكريمة مما تقاس به الحياة ويترك آثاره فى سجل الخلود ؟

ويذكر كتاب **حياة الصلاة الأرثوذكسية** ص ٢٤٤ : « أن الشخص الذى تجدد يجوز تغييرا عاما يشمل كل حياته الداخلية والخارجية معا وتنتقل حواسه انتقالا واضحاً من المادية إلى الروحانية ، فالعين بعد

أن كانت تجد مسرتها فى الجمال المخلوق سواء كان فى مناظر الطبيعة الخلابة أو الحيوانات والطيور الرشيقة البديعة أو بهاء الوجوه البشرية .. تجدها قد انتقلت انتقالا مجيداً من هذه الماديات الزائلة وهذا الجمال الزائف المتغير والمتقلب إلى أصل الجمال وخالقه ،ذلك الجمال الحق الذى لن يتغير قط أو يعتريه شبه تغيير . . فتجد العين مسرتها فى التأمل إلى ما هو وراء كل جمال إذ نستطيع أن ترى جمال الله فى كل شىء ، وهكذا تنتقل من المخلوق إلى الخالق . »

وبالإضافة إلى ذلك فان الكتاب يعلن أن الله يحل بالروح القدس فى جماعة المؤمنين ويجعل منهم هيكلا متقدساً ويهدد بإفساد كل من يحاول أن يفسده (١ كو ٣ : ١٦) ولا عبرة هنا بوجود شخص غير مؤمن ، عابر سبيل، ممن قد يدخل إلى هذا النطاق المقدس عرضاً، لأنه نتيجة لهذا الحلول الالهى الفائق تكشف خفايا قلبه ويخر على وجهه ويسجد لله منادياً إن الله بالحقيقة فى هذه الجماعة (١ كو ١٤ : ٢٥) هذا يعلن الموقف الإلهى تجاه المتقدسين أو المترددين بين المؤمنين وهم خطاة ويجيب على السؤال الذى يردده البعض بقولهم : « من الذى يضمن أن كل الموجودين والموجودات فى الاجتماع هم قديسون وقديسات » .

وإذاً فاجتماع الكنيسة أصلا فى مكان واحد إنما هو اجتماع المؤمنين المعتمدين بالروح القدس، الأمر الذى يؤهلهم لهذا الحلول الكامل الشامل والذى يعتبر بإزائه إقامة حاجز فى أى اجتماع من هـــذا القبيل بمثابة إعلان أن الجماعة التى فيه غير مقدسة وأن الله بالتالى ليس حالا فيها بل إنها بوجود الحاجز تجد نفسها فى حالة منقسمة وليست موحدة كذلك

التى كانت عليها الجماعة الأولى فى العلية إذكان الجميع معا بنفس واحدة لما حضر يوم الخمسين (أع ٢ : ١)، كما أن فى بقاء **الحاجز** مخالفة صريحة للنصوص الكتابية التى تعلن تقديس المسيح للخليقة كلها و بالأولى جماعته مثل القول . « إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس » (رو ١٤ : ١٤) وهو قول مرتبط بالطبع بالرب يسوع الذى هو محور الاجتماع ومركزه ومشيع القداسة والطهر فيه — فهل يحتاج مثل هذا الوضع المبارك إلى **حاجز** يحميه ويقيه من نظرات العيون الشريرة وما وراءها من ميول ! ؟ وإن قيل جدلا إن بالكنيسة فى مكان ما بعضا من المستهزئين الأدعياء ألا يردعهم حضور المسيح الماثل القداسة ويبكتهم وهو الذى لم يكتف فى سياسة الجيل بمنع ارتكاب الأفعال غير الأخلاقية بل قد منع أيضاً الدافع إليها والتفكير فيها موجها اهتمامه إلى الباطن لكى يكون نقياً طاهراً عفيفاً (مت ٥ : ٢٧ — ٣٠) وقد أعلن بواسطة رسوله بولس إلى التسالونيكيين بأن إرادة الله هى قداسة الجماعة .. وأن يقتنى كل واحد فيها إناءه بقداسة وكرامة . . وأن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه فى هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها» (١ تس ٤ : ٣ — ٧) ولسبب هذه الضمانات فى تقديس جماعة الرب وجدنا الإقرار المبارك : « أن كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم » (تى ١ : ١٥) فالنجاسة إذاً لم تعد مجرد ظروف خارجية فيما حولنا تستلزم القمع والضغط بفاعلية **حاجز مادى** وإنما هى حالة من الفساد فيمن يقبلها لا ترتبط بمكان ولا تتقيد بزمان

بل بالذهن والضمير وهيهات لمن يرتضون بها أن يكونوا من المؤمنين عارفى الحق المغسولين والمطهرين بدم المسيح لأن مثل هذا الوضع يكون تناقضاً غريباً لا يؤيده واقع الكتاب ولا الاختبار الصحيح !! .

أما الزعم بضرورة **الحاجز** لسبب وجودنا الحاضر فى هذه الأجساد التى يصفها معتنقو هذه الضرورة بالفساد فهو قول أغرب ، لأن الفساد الذى توصف به الأجساد الحالية إنما يعنى القابلية للفساد (التحلل فى القبر) نتيجة الموت ، كما أن وصفها « بالمائت » قبيل ذلك يعنى «القابلة للموت» فليس المقصود إذاً ما ذهبوا إليه من أننا ما دمنا فى هذا الجسد فاننا نعيش لذلك فى فساد ، لاننا لسنا فى الجسد بل فى الروح (رو ٨ : ٩) ومن ثم فاننا بنعمة الله وبفعل الروح القدس فينا مقدسون حتى أن أجسادنا هذه كالتى قد تقدست بحلول الروح القدس فيها قد انتسبت للمسيح وسميت « أعضاء المسيح » ونحن على الدوام نطهر ذواتنا من كل دنس مكمّلين القداسة فى خوف الله ، مختبرين حضور الله فى وسطنا فنحظى بأيام السماء على الارض أينما نكون وفى كل وقت ، وبهذا نتذوق الأمجاد ونحن بعد فى هـــذه الأجساد إلى حين دخولنا تلك الأمجاد التى سيشترك فيها من تقدسوا فى المسيح من رجال ونساء سيصلون معاً إلى قمة الشرف العظيم فينتظمون هناك معاً فى صفوف الأطهرين !!

ثالثا : لان الحاجز يعوق تكوين الشخصية البشرية بوجه عام :

يعرّف علماء الاجتماع « الشخصية » بأنها مقومات التعبير عن الوجود التى يتم بها إثباته وهى شىء جذرى فى كل كائن حى متمتع بالحرية والنطق

والعقل . أما الحرية فهى أعلى القيم : إنها ليست امتيازا طبقيا ولكنها حق عام قوامه المساواة ومتابعة التطور فى الحياة الاجتماعية ، إنها فرصة مواتية لخدمة الصالح المشترك وإثرائه بتحويل كل ما هو ناقص وجائر وجعله أكثر إتقانا وصلاحية ونفعا نتيجة موالاة البحث والعناية بالدراسة .

ولذلك فهو واجب الحق الأوحد فى القانون العام الذى يعامل الجميع بموجبه على قدم المساواة باعتبار كل امرىء كائنا نطنا يعمل أحكام العقل التى تقضى إعطاء الجميع فرصا عائلة بقدر الإمكان لينتفع كل منهم بما قد يكون بين يديه من إمكانيات . وهذا هو معنى المساواة إنه قبل كل شىء تنظيم الفرص . أى أن فرص فرد لا يجوز أن يضحى بها فى سبيل فرص فرد آخر (ص ٧٨ من كتاب **القانون والقيم الاجتماعية**) .

وهكذا تعنى « الشخصية » تنسيق الأنشطة الفردية بإدراجها فى حركة جماعية فيها الكفاية من المرونة لكى لا تهدر أية غاية مشروعة يتوق إليها الفرد وفيها قدر كاف من الانسجام لاستمادة الهيئة من مجهود كل واحد .

ومن المؤكد أن يجد الفرد ذلك فى ظل نظام تقدمى عادل فتنمو به الجوانب السامية من شخصيته ، وواضح أن التحسين الذى يطرأ على الجماعة يُفضى إلى تحسين حال أعضائها ، وأن التقدم غير ممكن من أى ناحية أخرى بغير رفع مستوى الفرد ، فإن كل فرد يجد فى صالح الجميع جوا ملائما لتحقيق صالحه هو .. ولذلك كان لابد من تغيير النظم وتعديلها بل وإلغائها أحيانا حتى لا تقف جامدة بحال من الأحوال فى طريق

التطور الذى يطرأ على التصورات الاجتماعية للقيم عبر التاريخ (ص١١٢، ١١٣ من نفس المرجع) .

وواضح أن هذا التعريف للشخصية ينبع أصلا من الكتاب المقدس فهو الذى أقرّ للمرأة شخصيتها كالرجل وجعلها مساوية له فى القيمة الإنسانية المشتركة كما فى الحقوق العامة أمام القانون — وهذا هو أساس مبدأ تأكيد المسئولية الشخصية على كل من الرجل والمرأة على حد سواء إذ لا يمكن أن تكون وصايا الله عقلا وبداهة قد وجهت إلى أحد الجنسين دون الآخر حتى أن الربانيين قد قرروا أن ما جاء فى خروج ٢١ : ١ « تضع أمامهم هذه الأحكام » بأنه شامل للجنسين على السواء .

وهذا يؤكد مبدأ المسئولية الشخصية على كل من الرجل والمرأة منذ البداية ، ولذلك كان لا بد من التزام كل من الرجل والمرأة بالمسئولية ، لأن كل واحد منا سيعطى عن نفسه حسابا لله» (رو١٤ : ١٢) ومعنى ذلك أن المرأة ستعطى حسابا عن نفسها أمام الله كالرجل تماما وستنال مثله ما تستحق من ثواب أو عقاب ... والطامة الكبرى فى إقامة **الحواجز** هى هدم امتيازات المرأة المسيحية وبالتالى رفع المسئولية الشخصية عنها أمام الله ويكون المسئول عنها حينئذ من يضع هذه **الحواجز** ويتمسك بها . . !

أما إثبات وجود هذه الشخصية للمرأة فنراه فى اعتراف الوحى لها **بكيان واحد مع الرجل** — هو الذى يسمى بالإنسان — بلا أدنى

تفرقة بينهما ولذلك صدر إعلان دولى فى ١٩٦٧/١١/٨ بمنع كل أنواع التفرقة بين الرجال والنساء . كما جاء فى الميثاق الوطنى : « إن المرأة يجب أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط عنها بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك مشاركة إيجابية وفعالة مع الرجل فى صنع الحياة »

وبالرجوع إلى سجل الخليقة نجد أن الخالق لكل من الرجل والمرأة واحد ، وأنه وإن كان الرجل هو « المبدأ الفاعل » والمرأة هى « المبدأ المنفعل » إلا أن الحياة لا تتولد إلا عنهما معا وهكذا ساوى بينهما وجعل منهما معا مصدر الوجود الإنسانى كله ، كما أنه تعالى منع الاعتراض على ما يخلقه من ذكور أو إناث معلنا الويل على من يخاصمه فى ذلك (أش ٤٥ : ٩)

والشخصية المنسوبة للمرأة تمنع النزول بها إلى درجة أقل من وجودها الإنسانى فهى إنسان والاختلاف فقط بينها وبين الرجل إنما هو فى المهمة التى أوكلتها الطبيعة للرجل أو المرأة . وأما قيمة الوجود ومعناه أو فى الذات الإنسانية وكرامتها فليس بينهما أى اختلاف إذ لا فرق بين الرجل والمرأة من جهة جوهر الوجود وغايته بالنسبة لكل منهما ..

وهذا هو أساس المساواة بينهما ولذلك فقد شمل الفداء المرأة كالرجل فهى مثله فى الايمان لنوال الخلاص والحياة الأبدية وتتساوت أيضا معه بالنسبة للعطايا الروحية وأعظمها عطية الروح القدس التى أعطيت فى العلية بلا فارق بين ذكر وأنثى وصار من حقها التسبيح

والصلاة والتنبؤ والتعليم تحت شروط معينة ... وهذه هى مقومات الشخصيه وهى تزداد ظهورا فى إقرار الوحى **للمراة بحمل صورة الله كالرجل تماما** كقوله : « فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى » (تك ١ : ٢٧) هذه هى صورة الله الشبهية وهى الأصل والمثال الذى صنع الله عليه كلا من آدم وحواء على السواء، ولذلك تتساوى المرأة بالرجل لاشتراكها معه فى هذه الكرامة وهى تعنى الإحساس بالوجود الخاص أى الشخصية ..

وإذاً فليست المرأة صورة مكررة أو منعكسة للرجل لأنها مخلوق على صورة الله مثله فمن حقها كمن تحمل صورة الله كالرجل أن تتقدم عن نفسها وبنفسها إلى شركة مباشرة مع الله فتجد نفسها مع الرجل فى حضرة الله بلا فارق بينهما فى ذلك ! كما قيل عنها أيضا بأنها « معين للرجل نظيره » (تك ٢ : ١٨ و ٢٠) ولفظة « نظيره » - وهى فى اللغة الأصلية « نِدّه — تعنى شبيهه فى الدرجة والمقام ، والنظير لغة هو « المثيل و « المساوى » وفى الترجمة الانجليزية Partner «الشريك» وهذا يرفعها من المذلة والمهانة إلى مرتبة الكرامة والإنسانية باعتبارها مخلوقا نظير الرجل يعاونه على تحقيق الكمال المنشود والقصد من الحياة فهى شريكته فى المصير والأبدية .

إنها ليست خادمة أو شغالة أو عبدة للرجل وخاصة أن عصر الرقيق قد انتهى ، ولا هى بسلعة أو غنيمة ، وإنما هى زميلة الرجل ورفيقته ومصلحتهما واحدة حتى إنها "سميت" نفس الإنسان الأخرى» وقد أُخذت من جنبه بجوار قلبه حتى يكرمها ويرفعها إلى مستواه

فيساويها بنفسه باعتبارها شريكته التى تقف بجواره جنبا إلى جنب فلا تقل عنه ولا تسمو عليه . إنها شريكته فى كافة المجالات فى المواهب والأهداف فى تحقيق الآمال والأمانى وخلق العبقرية والنبوغ وإيجاد الذوق السليم والارتقاء فى فن الحياة . !

وأما سبق خلقة الرجل فليس بمقدم له فى مقامه وكرامته لأن الحيوانات وقبلها الغابات سبقت خلق الرجل وهى لا تتفوق عليه بسبب الترتيب التاريخى .

فهل يتفق هذا التكافؤ الذى يحتم أن تحيا المرأة فى كرامة نفسية وخلقية واجتماعية وروحية مع وضع حاجز يفصل بينها وبين الرجل!؟ يقرر مؤلف كتاب « **المشكلة الجنسية** » : « بأن العلاقة بالمرأة يجب أن تنظمها عاطفة التكريم والاحترام .. فلا تنس عندما تتطلع إلى وجه امرأة أن أمامك تقف « نفس » تتمتع بكامل الكرامة والقداسة لأنها نسمة الله وتتجه بطبعها نحوه . . إنها نفس خالدة خلقت على صورة الله وهى تحاول جادة أن تصير على شبه الله الذى خلقها من أجله .. » ثم يعود فيقول عنها: « إنها عضو فى المجتمع ولا يجب أن تكون عضوا أشل يهدم كيانه ويتسبب أيضا فى هدم كيان المجتمع . إن لها إمكانيات وقوى يجب أن تساهم بها فى خدمة المجتمع ارتفع شأنه والسمو به ويجب تشجيعها على ذلك حتى لا تضيع الحياة منها فى تفاهات وصغائر . . »

ويصف الأستاذ سلامة موسى الشخصية فى كتابه « **الشخصية الناجحة** »

بأنها إرادة أى نزعات أو اتجاهات معينة ، فهى الدفة التى تعين للذكاء وجهته وذلك وفقا لما نتعلمه من المجتمع الذى نعيش فيه ... ولا شك لذلك بأن الشخصية تنمو بالاختلاط والمعاملة وتحمل المسئوليات (ص ٣١) ويحلل منطق الواقع هنا بقوله : « إننا ننشأ منذ الطفولة ونحن نلقن بأن الجنسين يجب أن ينفصلا — وهذا الانفصال يجعل الشعور الجنسى مضطرداً يلهبه التطلع للخفايا والرغبة فى الوقوف على خواص الجنس الآخر . ولذلك يؤدى الخيال ما ينقص من الواقع ولكنه يؤديه على غير الأساس الصحيح . . إن الشخصية الناجعة تحتاج إلى الاتجاه الاجتماعى السوى . ونصف المجتمع من النساء فإذا عجز الشاب عن معاملة الجنس الآخر فهو ناقص الشخصية وهو قد يضطرب ويشعر بخجال عندما يلتقى بامرأة لأنه نشأ منفصلا عن الجنس الآخر لا يعرف كيف يعامل أفراده »

ثم يعود فيقول : « **ان المجتمع الذى يفصل بين الجنسين يعوق نمو الشخصية** : وإذا كان الحجاب قد محا شخصية المرأة محواً يكاد يكون تاماً فان الفصل بين الجنسين قد عاق تكوين الشخصية عند الرجل وأفسد العلاقة بين الجنسين . . إن الحرية والمسئولية كلتيهما تؤديان إلى النضوج وهما فيتامين الشخصية وعلى قدر السمو فى المثاليات يكون السمو فى شخصيتنا . . إن أكبر مرانة للشخصية هو الاجتماع ذلك أن الشخصية بطبيعتها اجتماعية وبغير ذلك تضعف فهى فى حاجة إلى مرانة بالاختلاط لكى تكبر . . فمن أعظم مقومات الشخصية أن يكون للإنسان نشاط اجتماعى يحمله على الاختلاط بالمجتمع ويشعره بالكرامة والمنفعة وأن

حياته ليست عبئا عليه أو على المجتمع — والشخصية الجليلة فى عصرنا هى التى تتسم بالعقل العام ، هى الشخصية الإيجابية الكفاحية التى تواجه الحياة بنعم .»

ويسرد دكتور مختار حمزة فى كتابه « **الاشتراكية والديمقراطية الاجتماعية** » ص ١١٠ دور المرأة فى بلادنا بأن الفرصة قد صارت أمامها كاملة فى كافة الميادين .. ولقد أثبتت كفاءتها فى معظم الميادين التى كانت وقفا على الرجل .. وأن إحساس المرأة بالمساواة وتكافؤ الفرص بينها وبين الرجل سوف يتيح لها الفرصة دون شك للمشاركة الإيجابية فى التنمية وفى تهيئة فرص النجاح أمامها .»

ومن ثم فقد وجدنا القس صموئيل حبيب يقرر فى كتابه « **الكنيسة فى مجتمع متطور** » بأن التزام المرأة بالخضوع المطلق للرجل إنما هو من ضمن التقاليد الموروثة عن الماضى التى لا يتمسك بها بشدة إلا من يعيشون فيه ، أما التراث المسيحى الأصيل فانه يشجع التقدم والتطور ما دام يتفق مع رسالة الكنيسة كما رسمها المسيح ، ولذلك فان احتقار المرأة والانتقاص من شخصيتها لا يتفق مع المسيحية فى شىء ، تلك التى نادت برفع مستوى العلاقات الإنسانية بين أفراد الجنس البشرى إلى حد المساواة دون تفرقة عنصرية بين لون أو جنس أو دين ، وذلك لاحترام الجنس البشرى لذاته ورفع قدر الإنسان الذى مات يسوع لأجله رجلا كان أو امرأة ، أبيض كان أو أسود ، سيدا كان أو عبداً ثم يعود فيقول : « لقد أثبتت المرأة العاملة أنها ذات شخصية

مستقلة تحصل على إيرادها الشخصى فى مقابل عملها وقد نتج عن ذلك احساسها باحترامها لذاتها ومساواتها للرجل . . »

ولا شك أن الكنيسة تنادى بتحرير المرأة وإكرامها ومساواتها بالرجل ولا شك أنها تعترف بمكانة المرأة فى المجتمع » (ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٦٠)

وليس هذا بغريب فقد أعلن المسيح أن المرأة مساوية للرجل بتكريمه للرباط الزوجى ورفضه تجسيم خطية المرأة دون الرجل جاعلا بذلك من العفاف دستورا يلتزم به كلاهما ورافضا بذلك القانون المزدوج الذى يفرق فى المعاملة بين الرجل والمرأة والذى يطلب منها التزام العفة التامة مع أنه لم يضع أى التزام على الرجل من هذا القبيل .

ويعلن اكليمنضس السكندرى هذه المساواة بقوله : « إن مسيحيتنا روحانية مشتركة بين الرجال والنساء على السواء ، لأن الشخصية البشرية فى كليهما يجب أن تتدرب باستمرار للحصول على الحياة الباقية والاستعداد لها . » ولذلك فقد أفسحت الكنيسة المجال لنسائها القديسات للاشتراك اشتراكا فعليا وفعالا فى كل ميادين النشاط الكنسى منذ البداية .. ! »

ولكن هل تتحقق حرية هذا النشاط وواقعيته إذا كانت هناك حواجز مادية فاصلة فى الكنيسة ؟ بل هل يمكن للمرأة المسيحية نفسها

أن تحس بآدميتها وكرامة وجودها الشخصى وأنها تحررت من عهد العبودية (عهد الحريم) طالما أن **الحواجز** باقية ! ؟ وهل يمكن للكنيسة اليوم أن تقابل تطورات الحياة المعاصرة وهى تتجمد بالأوضاع الرجعية المتخلفة ؟ — إن الواجب يقضى على الكنيسة أن تتجه نحو الأصلح وتحافظ على الحالة التقدمية التى لها منذ البداية بهدم **الحواجز المادية والروحية** التى تفصل بين الجنسين فى ربوعها ، حتى يمكن أن يساهم كل عضو حقيقى فى الكنيسة — رجلا كان أو امرأة — بخدمة للمجتمع بتحويل طاقاته الداخلية إلى نشاط خارجى وبذلك يتمتع بشخصية أقوى وأفضل !!

ولا تخفى أهمية رفع **الحواجز** هنا فى إزالة التعنت الذى ترسب فى المجال الدينى ضد المرأة بعد أن شقت طريقها للمجتمعات العامة والجامعات كما اختطت سبيلها إلى ميدان العمل ومختلف أنواع النشاط — وقد تقدم **د . سعيد اسماعيل أستاذ كلية التربية بجامعة عين شمس ببحث عن « مركز المرأة فى المجتمع المصرى فى العصر الحديث»** قال فيه :

« منذ فترة كانت المرأة مخلوقا تابعا للرجل بكل معانى التبعية متخلفة عن ركب الحياة بكل معانى التخلف .. ولكن جاءت حركات تحرر المرأة لتثبت أن المرأة لا تقل عن الرجل ككائن له مقوماته ومن حقه أن يثبت وجوده . . . وبذلك توالت الخطوات نحو احتلال المرأة مكانها فى المجتمع . »

وهذا يدفعنا للتساؤل : حيث أن الأمر هكذا فى شتى مجالات المجتمع

فلماذا لا يكون فى الاجتماعات الدينية وهى عامة يحضرها الكبار والشيوخ !؟ ولماذا لا يتحقق التسامى برفع **الحاجز** وتنتزع العقد النفسية التى يرتبط بها الخوف والخجل والتى يكون مظهرها عند الكثيرين هو النظر إلى الجنس الآخر نظرة هلع وفزع !؟ ولماذا يحدث هذا الخلط المتعمد بين رفع **الحواجز** والاختلاط الانفرادى الذى يخشى من نتائجه [والحوادث الفردية التى تدفع المعترضين للتمسك **بالحاجز** ترجع إلى مثل هذا الاختلاط] مع أننا إنما ندعو لوجود جماعى مشترك فى حضرة الله يتساوى فيه الجميع من رجال ونساء تحت راية الايمان الواحد !؟

قال ترتليان فى أعقاب العصر الرسولى : «لم تكن النساء يُصلّين مع الرجال فحسب ، بل كان الجميع يتبادلون معا التحريض والتدعيم ، لأنهم وُجدوا معا فى حالة المساواة فى كنيسة الله ، إنها مساواة فى دائرة النعمة التى تحت كل الفوارق» .

فان كان العهد القديم رغم كل تحفظاته **والحواجز** التى فيه بطبيعة عصره قد أعطى المرأة حق المشاركة فى العبادة والخدمة فوُجدت فى **ازمنته** المغنيات وضاربات الدفوف والعازفات على مختلف الآلات الموسيقية فى الهيكل والمتجندات (النذيرات) والمبشرات والقاضيات والنبيات بل إن التقليد اليهودى قد منحها الحق فى أن تكون واحداً من السبعة الذين يتلون بالتناوب نصوص التوراة ، فهل بغريب أن نجد العهد الجديد قد فتح الباب على مصراعيه أمام المؤمنات بأوسع مجال !؟

إن حرية الاستخدامات الروحية فى الاجتماع العام لكل من الرجل والمرأة على السواء لا يمكن أن تكون مكفولة والحاجز قائم يفصل بينهما — فهل يصح بقاؤه بعد فى مجال الروح القدس الذى يتولى قيادة الاجتماع وهو حر فى اختيار الإناء الذى يستخدمه — فإن كانت موهبة الروح القدس قد انسكبت على النساء كما على الرجال بالسوية فمن يقدر أن يمنع ظهوره فيهن واستخدامه لهن كما للرجال بالتمام (أع ١١ : ١٧)

إن نساء المسيحية اللواتى هتف بعظمتهن ايبانوس قديما لا يدركن تماما الآن إنجيل المساواة هذا لأنهن يجدن المرأة محتقرة وهى حتى يومنا هذا لا تزال فى نظر بعض المتأخرين فى الشرق مقيدة بل أسيرة للرجل وهذا يضاعف من مشقة الحياة الروحية بالنسبة لها رغم أن هذا الانجيل قد جعل الحط من قدرها مستحيلا !!

وقد أنهى المجتمع الحديث كل تفرقة بين الرجال والنساء فى كافة المجالات وأصبحت المرأة تعمل كالرجل وتكافح معه فى الحياة على نفس المستوى ، أفليس من الغرابة بمكان بعد هذا كله أننا لانرى المرأة تكبت أو توضع خلف حاجز إلا فى أقدس مجال وهو مجال التعبد لله والامتلاء بالروح ، وهو أوجب مجال تتساوى فيه مع الرجال مساواة كاملة غير منقوصة يقصد الله من ورائها ليس فقط تكليفها بما ذكر وتحميلها إياه كأمانة ستكون مسئولة عنها أمام الله وسيحمل ذنبها عند المحاسبة من يقف فى طريق تأديتها لهذه الأمانة ، بل أيضا

إيجاد الإثارات والدفعات التى قد يستخدم فيها الروح القدس آنسات وسيدات ليس فقط بحكم قانون المساواة وحرية عمل الروح كما يشاء دون قيد ما بل أيضاً وكثيراً ما يكون الأمر كذلك لإثارة الغيرة والحماس فى قلوب الشبان والرجال الذين قد يكونون أحياناً فى حالة جمود وعدم نهوض إلى حد يمتنع معه على الروح القدس أن يعمل فيهم .

ولذلك فإن المؤمن المسيحى — رجلا كان أو امرأة — يرحب بكل الحركات التحررية والتقدمية ويسهم فيها بكل ما أوتى من قوة لأنه يعلم أنها مسئوليته أمام الله والناس والضمير وهو لا يقف سلبياً لأن الإيجابية تعبر عن إنسانيته واكتمال كيانه وهو لذلك يرفض أن يكون سلبياً منقوقعاً أو متعصباً ممن لا يستطيعون الانفتاح للحياة فى زمانهم وأنه ليفعل ذلك ليساهم بما يستطيعه من نشاط لأنه يعلم أن هذا هو طريق الشخصية المتميزة التى تبدأ حالياً فى الظهور ويتم اكتمالها فى الأبدية هذه الشخصية الذاتية للمرأة كالرجل هى عنوان الكيان الخاص الذى بموجبه تصير المرأة مسئولة مثل الرجل عن أعمالها وتصرفاتها أمام القانون الأرضى والسماوى على السواء .

ولعل الكبرياء الجنسية فقط بعد كل هذا هى التى تدفع الرجل إلى الاستعلاء المطلق على المرأة فى كل مجال بما فى ذلك المجال الروحى البحت وهى السبب الأوحد لبقاء **الحواجز** وخاصة فى نطاق الكنائس الروحية التى يرفرف عليها علم الروح القدس .. وأننا فى مناقشة موضوع كهذا لا نجد الأمر مرهونا فيه برأى فريق من الرجال أو من النساء كأن يُترك الحكم فيه لكبرياء الجنس فى الرجل (مُركّب الزيادة)

أو الكبت الجنسى فى المرأة (مُركّب النقص) فإذا حدث شبه إجماع فيه بموافقة أو اعتراض اعتبر ذلك من الله وأدخل ضمن مجال الاختيار المحلى لكل كنيسة وفقاً لما يريحها فى ضوء ظروفها أو أوضاعها حسب تصور الرجال فيها أو النساء حتى إن جاء مخالفاً لمفهوم الحق العام بشأنه.

وهنا يقول الأب كمال فلته فى كتابه « **اشواك الروح** » « إن الرجل إذ استضعف المرأة وقف عائقاً فى سبيل تنمية إمكانياتها وقدراتها ، وقف عائقاً خلال التاريخ ولم يزل . واستطاع أن يمنعها من تحمل المسئولية لتقدم الإنسانية وأن يظهر فى غيابها قدراته وعظمته ويكبت مواهبها فكان يحطم طموحها تباعاً مما أدى بها إلى نوع من الانطواء على النفس ففقدت ثقتها بنفسها ، ، وبذلك ضاعت على الإنسانية نصف قدراتها وتعطلت على مدى الزمن ودفعت المرأة ثمن هذا الكبت من كرامتها ودفع الرجل أيضاً ثمناً باهظاً ، فكان الرق وكانت العبودية وأضحى نصف البناء الإنسانى غير صالح لتجرى فى جنباته أصداء الحركة والحياة فناء النصف الثانى بالحمل الثقيل » .

ولهذا نرى فى جميع الحالات تمثيل الجانبين (الرجال والنساء) فى كل نشاط ويتم الاختيار فيما بينهما هنا على أساس مبدأ الكفاءة ومقوماتها من الخبرة والأمانة وذلك للعمل على إقرار العلاقات الطيبة والمعاونة على حل كل ما يعترض سبيلها . وقد يفتح ذلك الطريق إلى الاشتراكية الإيجابية للجنسين فى إدارة الكنيسة وإسهامهما معا بنصيب فعال تقدمى من هذا القبيل .

الفصل الثالث

الأضرار النفسية والروحية لبقاء الحاجز

« يقف الحاجز حائلا دون تحقيق وحدة الجنس البشرى وبالتالى الوصول به الى الاتحاد الروحانى بالله : »

يقول كاجاو الزعيم اليابانى المسيحى : « رفضنا أن نضع **حاجزاً مادية** فى الكنيسة لأننا لم نر حدوداً فاصلة فى عالم الروح الذى يسمو فوق كل الفوارق سواء كانت قومية أو عنصرية أو جنسية ، لذلك فإننا لم نر داعياً لإقامة **حاجز مادى** ينفصل بين الجنسين فى نطاق الكنيسة بعد أن ارتفعت وتلاشت من بينهما **كافة الحواجز** روحية كانت أم معنوية . » ولا شك فمثل هذا الإقرار يؤكد أنه من دلائل الروحانية الصحيحة لاستكمال صورة الكنيسة الكتابية مساواة المرأة بالرجل فى دائرة الاختبار المسيحى بكل ما يتضمنه ذلك من مشاركة فعلية واقعية تستلزم انتفاء وجود **الحواجز** فيما بينهما فى هذه الدائرة التى لم يعد مكان المرأة فيها ثانوياً أو منتفيا . . وذلك لأن من أعظم الأهداف التى اقتضتها حكمة الله استخدام التمييز الجنسى كوسيلة لوحدة الجنس البشرى ثم الانتقال به بعد ذلك إلى الاتحاد بالله ...

هذا هو سبب خلق المرأة من الرجل إثباتاً لوحدة الإنسانية جمعاء ، يوم خلق الله الإنسان على مثاله خلقه ذكراً وأنثى وباركه وسماه آدم يوم خلق » (تك ٥ : ١ و ٢) استعمال غريب بصيغة المفرد بينما

هو يتحدث عن اثنين ذكر وأنثى - يقول ذهبى الفم : « إن الله هنا فى كلامه عن الاثنين يتحدث وكأنه يقول إن ذلك الإنسان المخلوق على صورة الله ليس هو الإنسان المفرد وإنما هوالإنسان المشترك الذى يشكل اتحاد الرجل والمرأة أسمى تعبير عنه وهو بذلك الاتحاد الإنسان الكامل » إنه « الآدم » المخلوق على صورة الله .

هنا أزيلت العزلة بهذا الاتحاد الكامل الذى به يتكامل الجنسان ويتكون منهما معاً « الإنسان » . . ولسنا ندرى من بعد هذا الاتحاد الربانى كيف نخترع **حاجزا** يعيد فصل « هذا الإنسان الواحد » إلى جزئيه فى حين أنه لا يمكننا أن نفصل جزءاً من الإنسان عن جزئه الآخر بعد أن خلق الله من جزئيه وحدة واحدة متحدة فى صورة الله ومتكاملة باختلاف الجنس . . لقد وضع الله فى كل من الشطرين حنيناً طبيعياً إلى اللقاء بالشطر الآخر ليعيد معه الكيان الواحد الأصيل وكل شطر يشد نفسه إلى الآخر ويتجه بطبيعته تلقائياً إليه لأنه ناقص بدونه ليكون معه كيانا واحداً حيا ليس هو الرجل وحده ولا هو المرأة وحدها بل هو كيان متحد يتم منهما بلا أدنى تفرقة . . وإذاً فكما يقول كوستى بندلى العلامة المعاصر: «إن أمامنا هنا لقاء بين ذات وذات سعياً إلى شخص آخر لن أكتمل إلا إذا تجاوزت ذاتى للقائه . هنا يصبح الاثنان بالاتحاد واحداً ومع ذلك يلبثن اثنين . إنها وحدة لاتلغى شخصية كل من الطرفين بل تؤكدها . . فتعتبر الآخر مهما بحد ذاته وتكشفه فى فرديته وشخصيته وتسعى إليه وتتعهده فى بعده الزمنى إذ أنها لا تحقق وجود الشخص إلا بالآخر . »

وهذا يأتى بنا إلى أسمى ما يدفع إلى تقديس الجنس فى حد ذاته وهو تسخيره من أجل الله بإعلائه إلى صعيد الحب الالهى كطريق للاتحاد بالله باعتبار أن الجنس فى الحقيقة إنما هو سعى نحو المطلق واللامحدود ، وهو فى الواقع صدى حركة الحب الالهى — تلك الحركة السرمدية التى هى بلا بداية وبلا نهاية ، ولما كان الإنسان مزيجاً من المحدود واللامحدود فالجنس يربط بينهما كليهما وهو فى نهاية المطاف مكان لتجلى الألوهية .. فإنه رغم أن الله متعال عن الجنس إلا أن الجنس فى أصالته مكان حضور إلهى لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد وفى اكتمال الجنس البشرى بالحب مكان للحضور الالهى .. فقد خلقت حواء وآدم فى حالة انخطاف روحانى يشبه حالة اتحاد النفس البشرية بالله كما يصورها سفر النشيد وكما تبدو نهايتها فى سفر الرؤيا — وليست هذه حالة فردية بل هى حالة الكنيسة بأسرها والتى تحمل لقب « العروس » ، وفى هذا التشبيه أكرمت المرأة بلا حد ولم تعد وصمة عار أو مدعاة للازدراء والتشهير إذ يكفيها فخراً استخدام لقب « العروس » وهو لقب أسمى للتعبير عن جماعة المؤمنين على مر العصور ، وهم من الرجال والنساء على السواء ، وقد اعتبر الرجال أن هذه التسمية جائزة وعدّوها شرفا وتكريما وتمسكوا بها ونظموا بشأنها الترنيمات التى يشترك فيها الجنسان والتى سيتردد صداها فى الأبدية عندما يشتركان فى ذات الأمجاد وسائر المكافآت بل والضرب على القيثارات .. !

هنا يظهر شقاء الإنسان — بدون هذا الاتحاد الروحانى — إذ يحاول تأليه محـــدوديته عوضا عن أن ينفتح إلى الإله اللا محدود .

إن المحدود لا يمكنه بفعل ذاته أن يرتفع فوق محدوديته ولكنه بتأليه ذاته يدخل فى عزلتين متقابلتين عن الله وعن الإنسان الآخر .. وهكذا تنفك الوحدة التى توجد الملكوت برط الإنسان الموحَّد فى الله .. هنا فتح المسيح طريق الفردوس المفقود ، فقد كان فى إنسانيته متجها بكليته إلى الله ومن خلاله إلى البشر أجمعين . ولما كان الجنس أكثف مكان لهذه الوحدة فقد جعله المسيح سراً يصدر فيه فاعلية اتحاده بالكنيسة وبذلك تم الانتصار على الانكماش ووضعت الكنيسة ترنيمة الشهداء فى إكليل الزواج لأن فيه يقدم الرجل والمرأة ذاتيهما معا كيانا واحداً لله .. وسيكون هذا التقديم أبديا فى القيامة عند الاتحاد بالله وزوال الموت ومعه الطابع الغريزى للجنس أيضا إذ يكون قد بلغ أقصى مداه فينتهى حينئذ بمعناه الأرضى ...

على أن هناك من لايطيقون الانتظار فتراهم يتخلون عن هـــذا الطريق ويستبدلونه بطريق آخر هو التجاوز عن الغريزة لتحويل الحب كله إلى خدمة مكرسة لله والناس .. وهذان الطريقان وإن اختلفا فإن غايتهما واحدة فى نهاية المطاف إذ أن كليهما سعىٌ إلى اللقاء بالآخر ذلك اللقاء الذى لايكتمل إلا فى الله مركز الوحدة بين الناس وقطب الحنين البشرى .. ومثل هذا اللقاء يظهر فى تفجير الحيوية وتوجيهها نحو مصدر الحياة وغايتها ، وهكذا تتحول إلى حب باذل ثمرته الاتصال الكلى بالله ومحك أصالته خدمة الناس فى رحاب الحب اللامتناهى حب فائض يشمل البشرية كلها ، ويوحد من يمتلئون به .

هذه هى وحدة الاهتمام المطلق الذى يصل إليه الجنس فى حقيقة معناه ، والذى بسببه قد انتهت جميع الحواجز سواء كانت عنصرية (أى بين اليهود والأمم) أو طبقية (أى بين الأسياد والعبيد) أو جنسية .. (أى بين الرجل والمرأة)هـذه هى الوحدة المباركة التى تعتبر فى حقيقة الأمر مشاركة فعلية واقعية لكل من يدخل فى نطاقها وهى من بده الدخول فيها تمنع الحواجز الفاصلة بأنواعها وذلك بصفة نهائية ...

وشتان هنا بين موقف الانغلاق الذى يتخذه بعضهم فى نفس هذا الإطار المقدس محاولين به إقامة الحواجز والدفاع عنها مع أنه فى الواقع موقف الأنانية والتمركز حول الذات ، وبين موقف الانفتاح الذى هو موقف الحب والبذل والعطاء وتجاوز الذات إلى الآخر ونحو الله .. الموقف الأول — الانغلاق — يفشل فى تحقيق المتعة الحقيقية المرجوة من الحياة بل على العكس يعمّق العزلة ، وأما الموقف الثانى — الانفتاح — فهو وحده الذى يعطى لذة ذات بُعد أعمق وأشمل لأنه يحقق هدف وجود الجنس فى أسمى معناه وهو ابتغاء الاجتماع بالآخر وإنهاء العزلة النفسية الأمر الذى يتم لا بالانفصال بل بالاتحاد الذى يتم به استكمال النقص كخطوة مبدئية للاتحاد الروحانى الأشمل بالله ..

* * *

وإذ قد بلغنا نهاية هذا البحث يتضح لنـــا أن كل هذه المواقف والاعتراضات الشاذة التى يحلو للمتزمتين فى المجال الدينى إثارتها والتمسك

بها بل والدفاع عنها إنما هى أوهام باطلة وهى لابد أن تنتهى بالاعتراف بأنه لاتوجد أية نتائج ضارة أو سيئة تترتب على رفع الحاجز والاعتراف للمرأة المسيحية بحقوقها الشرعية عمليا ، وخاصة لدى الذين يدّعون الوصول إلى درجة عالية من التمييز والإدراك الصحيح للأمور وذلك لأجل تهيئة المجال الحر للروح القدس وأيضا لكى لا نعطل رسالة المرأة المؤمنة التى تستطيع أن تستند فيها إلى وثيقة التحرير التى حصلت عليها من محررها الأعظم مهورة بدمه الكريم وهى نفسها وثيقة المصالحة بين الجنسين .

* * *

هذا هو أساس مسئوليتهما المشتركة امام الله فى رحاب المسيحية المباركة التى أطلقت حرية العبادة فأخرجتها من شكلها الجامد ورفعت منها التكرار وحررتها بذلك من التزمت والتقيد . وهكذا أوجدت للنفس البشرية - وهى واحدة فى كل من الرجل والمرأة على السواء - مجالا جديداً لم يكن لها من قبل فتقدست به لا الاماكن فحسب بل بالأولى القلوب وهكذا حافظت المسيحية على الجوهر وبساطة التشكيل الأمر الذى منعها من الاندفاع تجاه المظاهر ، ولذلك فإنها قد اهتمت بجوهريات الحقائق والأمور دون مظاهرياتها وسطحياتها التى يتمسك بها أصحاب القشور !!

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب / ٤١٠٤ / ١٩٧٤

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

هـــذا الكتاب

هو خلاصة الفكر المتطور المنبعث من أعماق كلمة الله المقياس الوحيد لكل الأمور إذ هو دستور الحق الأبدى، وفى ضوئه جاء هذا البحث الرائع عن « مصالحة الجنسين » مع الله وربطهما معاً بشخصه المبارك رباطاً يبقى ويدوم الى الأبد . تلك الحقيقـــة الأساسية للعلاقات الواجبة بعد أن أتم المسيح الفداء للجنسين على السواء . وقد ترتبت فصول هذا الكتاب الثلاثة بوضع ينهى إدعاء المتزمتين والرجعيـــين الذين يحاولون وقف الزحف التقدمى للبشرية وخاصة تلك المفتداه بدم المسيح ... فيجـــد القارىء العزيز فى مستهله تمهيداً أى مدخلا تحليليا يجمع كل أركانه ويليه الفصل الأول « الاعتراضات على الحاجز وتفنيدها » وفيه تسقط جميع قلاع الشك والظن ... الخ ويتبعه الفصل الثانى عن « ضرورة رفع الحاجز وأسبابها » وهنا يقام صرح العلاقات الكريمة الحرة بين الجنسين فى إطار من القداسة والعفاف واحترام الشخصية الانسانية التى هى لكل من الرجل والمرأة على السواء ، ثم نختتمه بالفصل الثالث الذين يبين « الاضرار النفسية والروحية لبقاء الحاجز » منذراً بأن بقاءه يحول دون تحقيق وحدة الجنس البشرى وبالتالى الوصول بهذه الوحدة إلى الاتحاد الروحانى بالله ، وبعد كل هذا فاننا نترك الكتاب يتحدث عن نفسه لكل من يصل إلى يديه .